مواصفات اليهود السوفيات

بداية، لا بدّ من التوقف عند بعض السمات العامة لليهود في الاتحاد السوفياتي، حيث تشير المعلومات المتوفرة القليلة، والمتباينة أحياناً، الى ان تعداد اليهود في الاتحاد السوفياتي يتناقص تدريجياً منذ الخمسينات. ففي العام ١٩٥٩، كان تعدادهم مليونين و٢٦٨ ألف نسمة؛ وانخفض، في العام ١٩٧٠، الى مليونين و١٥٠ ألف نسمة[٢]. أمّا التقدير الأخير لعددهم، في العام ١٩٨٧، فأشار الى انهم يتراوحون بين ١,٥ ـ ١,٦ مليون نسمة. ويبدو ان الهجرة ليست السبب الرئيس لتناقص تعداد اليهود في الاتحاد السوفياتي؛ بل يرجع ذلك، بصورة أساسية، الى ظاهرة الزواج المختلط. فقد جاء في تقرير الاجتماع العالمي لموضوع الديمغرافيا اليهودية، الذي عقد في القدس، العام ١٩٨٧، ان ٤٠ ـ ٥٠ بالمئة من مجمل عمليات الزواج بين اليهود في الاتحاد السوفياتي هي زيجات مختلطة مع غير اليهود، وان ٩٠,١١ بالمئة من مواليد هذه الزيجات المختلطة يصفون أنفسهم بأنهم غير يهود. كما جاء في تقرير الاجتماع المذكور، ان متوسط الولادات للمرأة اليهودية في الاتحاد السوفياتي هو ١,٦ مولود فقط[٣]، الأمر الذي اشار الى ان الخصائص الديمغرافية للطائفة اليهودية في الاتحاد السوفياتي لا تختلف كثيراً عن مثيلتها لدى الطوائف اليهودية في الغرب، من حيث الاتجاه نحو الانصهار، وتدني الخصوبة، والميل نحو الشيخوخة.

أمّا من حيث الوضعية الاجتماعية، فأشارت المعلومات الى ان يهود الاتحاد السوفياتي هم، بصفة عامة، من سكان المدن، حيث يتركزون في الجمهوريات الأكثر تطوراً، مثل جمهوريات روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء ومولدافيا، حيث يعيش في هذه الجمهوريات أكثر من ثلاثة أرباع يهود الاتحاد السوفياتي؛ أمّا البقية، فتتواجد، بنسب قليلة، في جمهوريات مثل اوزبكستان وجورجيا وأذربيجان ولاتفيا وكازاخستان. وفي أواخر السبعينات، كان عدد اليهود في العاصمة موسكو ٢٣٦ ألف نسمة، وفي لينغراد حوالى ١٦٢ ألفاً، وفي كييف ١٥٤ ألفاً[٤]. ويعكس هذا الواقع للتوزع الجغرافي، وخاصة في المدن الرئيسة، الموقع الاجتماعي الذي يحتله اليهود السوفيات ضمن المجتمع السوفياتي.

فهناك، على سبيل المثال، ٣٦ بالمئة من اجمالي اليهود السوفيات يتوزعون على حقول العلم، والفن، والثقافة، والأدب، والتأليف. وخلال السنوات العشر الأخيرة، كان اليهود يشكلون ما نسبته ١٤ بالمئة من اجمالي كتاب الاتحاد السوفياتي، و ٢٣ بالمئة من الموسيقيين، و ١٤ بالمئة من الأطباء، على الرغم من ان نسبتهم من السكان السوفيات لا تزيد على ٦ر٠[٥].

وتقدّم نوعية المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي صورة لمستواهم العلمي، والأكاديمي. فمعطيات ادارة الهجرة والاستيطان في الوكالة اليهودية تبين ان ٥٣,٦ بالمئة من اليهود الذين يريدون الهجرة الى اسرائيل يحملون شهادات أكاديمية ثقافية[٦].

دوافع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي

ان المعطيات السابقة حول أوضاع اليهود في الاتحاد السوفياتي، تقدّم تفسيراً أولياً لحافز الهجرة لدى غالبيتهم الى خارج الاتحاد السوفياتي. فالمؤهل الأكاديمي في بلد ذي نظام اشتراكي لا يمنح صاحبه الكثير من الامتيازات المادية، خاصة وان الدولة تتحمّل كامل تكاليف الدراسة لمواطنيها في المدارس، والجامعات. فالفارق في الدخل بين عامل في مصنع وبين بروفيسور في الفلسفة،